وتهافتهم إلى مثل هذا كثير يعجب منه ذو اللب إذا رآه. وجمعت في كتابي هذا أجود ما جمعوه، ووضعت عنه كل وهم ثبتوه في كتبهم ووضعوه، وقد رتبته على الحروف ترتيبًا وقربته إلى الاختصار المألوف تقريبًا»[1].

والمطلع على المؤلفات في الوجوه والنظائر يرى مصداق كلام ابن الجوزي واضحًا، وهو نفسه، على الرغم من ذلك، لم يتخلص تمامًا من كل زيادة في الوجوه، على ما نرى في كتابه وكما قال هو «قربته إلى الاختصار» فهو لم يختصر ما زادوه اختصاراً تاما، وعلى الرغم من انتقاده إياهم رأى أن يذكر «الاسم كما ذكروه».

ومع ذلك، نجده في كثير من الألفاظ، وبعد أن يذكر وجوهها، يعلق ناقدًا نفسه أو ناقدًا أحد الوجوه التي ذكرها. وفي أول ألفاظ كتابه: «باب الاتباع» مثال لهذا، إذ يقول:

«الأصل في الاتباع أن يقفو المتَّبِعُ أثر المتَّبَع بالسعي في طريقه، وقد يستعار في الدين والعقل والفعل. وذكر أهل التفسير أنه في القرآن الكريم على هذين الوجهين:

فمن الأوَّل قوله تعالى في طه: ﴿فأتبعهم فرعونُ بجنوده﴾[2]، وفي الشعراء: ﴿فأتبعوهم مشرقين﴾[3].

ومن الثاني قوله تعالى في البقرة: ﴿إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب. وقال الذين اتبعوا لو أنَّ لنا كرةً..﴾[4] وفي الأعراف ﴿لئن اتبعتم شعيبًا..﴾[5] وفي إبراهيم ﴿إنّا كنّا لكم تبعًا..﴾[6] وفي الشعراء ﴿واتبعك الأرذلون﴾[7].

ولا يصح هذا التقسيم إلاّ أن تقول: إن الإتباع والاتّباع بالتخفيف والتشديد بمعنى واحد»[8] فهو إذن يلغي بهذه الجملة الأخيرة كل ما ذكره عن وجهي اللفظ، فلماذا لم يحذف ابن الجوزي اللفظ من ألفاظ الوجوه عندما قام بالاختيار لكتابه خاصة وأن هذا المثال يضم فعلين مختلفين أتْبَع يُتْبِع واتَّبَع يَتَّبِع، والتعدد لا يكون إلاّ في الصيغة واحدة الشكل مختلفة المعاني.

---

(١) المرجع نفسه ص ٨٤، ٨٥.
(٢) طه: ٧٨.
(٣) الشعراء: ٦٠.
(٤) البقرة: ١٦٦-١٦٧.
(٥) الأعراف: ٩٠.
(٦) إبراهيم: ٢١.
(٧) الشعراء: ١١١.
(٨) المرجع نفسه ص٨٥ و ٨٦.